وقد كان طبيعياً أن ينعقد اللواء للزعامات القومية فيما مضى وأن تصطبغ حتى الزعامات الفنية بألوانها فى أتم درجاتها لأن البشرية لم تكن قد التحمت هذا الالتحام الذى تشابكت به اليوم؛ فلم يكن عجباً أن يكون زعيم القبيلة هو فارسها وهو شاعرها كما كان عنترة العبسى فى قومه مفخرة لهم، له اليد الطولى فى مجدهم الحربى ومجدهم الفنى أيضاً ... ولكن منذ بدأت الآفاق تتفتح أمام المجموعات البشرية حتى عليها أن ينفتح إحساسها حتى يحيط بكل ما تضرب فيه الحياة وحتى يلم بكل ما يضطرب فيها

ولا ريب أن الإنسانية قد انتبهت إلى هذا الآن، فقد قضت وقتاً طويلاً وهى تجرب هـذه الدعوات التى تهتف بالقوميات والعصبيات المادية فتبين لها أنها دعوات ضعيفة عاجزة منافقة

أما ضيقها فتابع لضيق البيئات التى تصلح لانتشار كل منها، وأما عجزها فتابع لما تستدعيه من التنفير الذى ينفث الكراهية فى نفوس الناس فيرجم بعضهم بهـا بعضاً، وأما نفاقها فظاهر فى أتباعها كما أنه ظاهر فى ميوعتها وحيرتها وتناقضها مع نفسها، فقد كانت للإنجليز قومية يدعون إليها ويفخرون بها، وكان منهم من أسرع إلى أمريكا فاستوطنها ثم أبى أن يخضع لسلطان وطنه الأول فانقلب على قوميته وأنشأ مكانها قومية أخرى يحبها ويناضل فى سبيلها لأنها تتصل بالأرض التى يعيش عليها ويأكل منها، ولا أكثر. وهذا ما حدث للأسبان الذين نزلوا أمريكا الجنوبية فقد انقلبوا على أسبانيا أمهم الأولى؛ ثم انقلبوا على أنفسهم واستأثر كل جماعة منهم بقطعة من الأرض ... وهذا يثبت أن فكرة القومية والوطنية المادية ليست من الشرف فى مكان يعلو على المادة ويتسامى عليها، وما من شك فى أن «قومية الفكر» أو «قومية الفن» خير منها. ويتضح فضل الروحانية بمراقبة هذه القوميات المادية عند ما يحتك بعضها ببعض فإننا نرى أن المادة والشغف بها يزيدان الصراع بين الناس استعاراً بينما المذاهب الروحية كلما توغلت فى نفوس الناس على أساس من الصحة والسلامة ومجاراة الطبيعة والبعد عن التكلف كان ذلك أدعى إلى تقارب البشر، وزيادة تفاهمهم وتعاونهم

فالفن إذن ليس زعامة فقط، وإنما هو أرقى الزعامات

ليت الداعين إليه يزيدون فى الناس، وليت دعوتهم تذيع!

عزيز أحمد فهمى

حركة السير ريالزم

للأستاذ رمسيس يونان

«يجب أن نحقق لكل إنسان نصيبه من الخبز ... ونصيبه من الشعر ...» تروتسكى

يخطئ من يظن أن حركة السير ريالزم هى حركة أدبية أو فنية خالصة، وإن كانت تستخدم الشعر والقصة والرسم والسينما ... ويخطئ من يظن أنها حركة سياسية بحتة، وإن كان القائمون بها يدينون بمذهب سياسى معين. وليست هى أيضاً مزيجاً من الفن والسياسة، فقد صرح «أندريه بريتون» زعيم الحركة مراراً وتكراراً بأنه لا يوافق على أن يتخذ الفن وسيلة للدعاية السياسية. وقد فُصل «أراجون» من جماعة السير ريالين لأنه خالفهم فى هذا الرأى. فما هى إذن حركة السير ريالزم هذه؟ وما غايتها؟

يصعب علينا أن نضع تعريفاً للسير ريالزم فى كلمات قليلة. فإذا كان لا بد من ذلك فعلينا أن نقول: إنها حركة اجتماعية فنية، سياسية، فلسفية، سيكولوجية ... ولا بأس أن نضيف أيضاً أنها حركة دينية. فهى تستلهم شعر «رمبو» و«بودلير» و«لوتريامون» وتأخذ عنهم حب الخيال الثورى البعيد عن المنطق وأساليبهم الغريبة فى الشعور والتعبير. وتستلهم فلسفة «هيجل» فى إيمانها بالحرية؛ وتدين مع «كارل ماركس» بالتفسير المادى للتاريخ؛ وتأخذ عن «فرويد» نظرياته فى العقل الباطن؛ ثم هى فوق ذلك تحاول أن تعتمد على هـذه العناصر جميعاً فى خلق ميثولوجيا جماعية جديدة mythe collectif تناظر الميثولوجيات التى خلقتها الديانات القديمة

ومهما قالوا عن كارل ماركس، ومهما قالوا عن فرويد فلا شك فى أنهما الرجلان اللذان استطاعا أن يؤثرا فى الفكر الأوربى الحديث أكبر التأثير. فإلى كارل ماركس يرجع الفضل فى تفسير التاريخ على أساس من حروب الطبقات وفى التنبؤ بثورة العمال وبدكتاتورية العمال، ثم بالعصر المقبل (الموعود!) الذى تزول منه الطبقات وتكتمل فيه المساواة الاقتصادية. وقد تأثر العمال بالمذهب الماركسى فنشطت حركاتهم ونمت أحزابهم حتى أصبح الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية أساس السياسة الأوربية فى السنين الأخيرة؛ كما تأثر بهذا المذهب عدد كبير من رجال

الفكر والأدب ... وها نحن أولاء نرى أعلاماً مثل « برنارد شو » و « ولز » و « أندريه جيـد » و « مالرو » و « توماس مان » يدينون به ويناضلون عنه

والسير رياليون كما قلنا يؤمنون بالمذهب الماركسي ، ولكنهم يرون في نفس الوقت أن الدعوة إلى التحرير الاجتماعي يجب أن ترافقها دعوة إلى التحرير النفسي ، فالنفس الإنسانية مكونة أيضاً من طبقات يتحكم بعضها في رقاب بعض . ولا سبيل إلى الوصول إلى التحرر النفسي ما لم نستطع أن نزيل الحدود التي تفصل بين العناصر المتنازعة في باطن النفس

ولقد أقنعنا « فرويد » بأن الشخص « السليم » من الأمراض النفسية هو نموذج مثالي لا وجود له . وما الفارق بين « العاقل » و « المجنون » إلا اختلاف في الدرجة ولا في النوع . والسبب الأساسي لهذه الأمراض جميعاً هو أن للنفس الإنسانية رغبات ، كثير منها لا يتحقق بالنسبة للعقبات التي تقابلها من الوسط الخارجي ، والطفل الصغير لا يدرك هذه العقبات ولذا كان خياله لا يعرف الحدود ، فهو إذ يرغب في سيارة فخمة ، أو في حصان مطهم ، أو في قصر باذخ ، لا يشعر بأن هناك عائقاً من العوائق يمكن أن يحول دون ما يبتغيه ، ولكن رويداً رويداً يتعلم الطفل خلال ممارسته للحياة بأن رغباته جميعها لا يمكن تحقيقها ، فيضطر إلى كبح هـذه الرغبات ويتعود التسليم بالأمر الواقع . وكلما كبر في السن تمت فيه هذه العادة — عادة التسليم بالأمر الواقع . على أن الصراع بين الرغبات وبين الواقع يستمر طوال الحياة ، فحتى الكهل وهو على أبواب القبر لا يستغني عن الأحلام

وعادة التسليم بالأمر الواقع بين الناس هي الأساس الذي ترتكن إليه دعوات المحافظين ، وهي العقبة الكأداء التي تقف في سبيل كل تجديد وإصلاح . ولما كان السير رياليون يؤمنون بضرورة تغيير النظام الاجتماعي الحاضر فإنهم يثيرون حرباً شعواء على هذه العادة

والأساليب التي يتبعونها في ذلك متعددة : منها ما يسمونه « تغريب » الأشياء dépaysement des objets أي نقلها من وسطها المألوف إلى وسط غريب عنها (المثل الكلاسيكي لذلك كلمة لوتريامون: belle comme la rencontre fortuite d'un parapluice et d'une machine à coudre sur une table de dissection) فمن المألوف أن نرى الأسرة في غرف النوم فإذا هي تفاجئنا في رسم سيريالي على شاطئ البحر ، وقد تعودنا أن نرى السحاب في السماء فإذا هو يباغتنا داخل الجدران ... وهكذا نشاهد في الرسوم السيريالية شجرة تنبثق منها ذراعان ، وسمكة مضطجعة بجانب فتاة عارية ، وعينا تطل من وسط ثدي ، وأجزاء من جسم الإنسان طائرة في الهواء ، وهيكلاً عظمياً يرقص لأن سمكة بجانبه تنفرد ...

وللسيرياليين أسلوب آخر في مقاومة عادة التسليم بالأمر الواقع هو اللجوء إلى إثارة الرغبات المكبوتة وتنشيطها وحفزها على التمرد . ومن هنا كلمة « سلفادور دالي » المشهورة : « يجب أن يكون الفن مغرياً بالأكل L'art doit être comestible أي مغرياً بتحقيق الرغبة واجتلاب اللذة . وكلمة « نيكولا كالاس »: « الفن ممعل بارود L'art est une poudrière » أي وسيلة لهدم عاداتنا في التفكير والسلوك .

وهناك أسلوب ثالث هام من أساليب السيرياليين هو ما يسمونه الأسلوب « الأوتوماتيكي » في الكتابة والرسم . وهنا يحاول الشاعر أو الرسام منهم أن يتجرد من رقابة عقله الواعي تاركاً لخياله العنان ، حتى يصل إلى حالة تقرب من الغيبوبة ، ثم يسجل كل ما يهب ويدب في نفسه من الخواطر أو يتراءى له من الأشكال

وقد استعار السيرياليون هذا الأسلوب الأخير عن فرويد . ففرويد يجلس مريضه على مقعد وثير مريح ، ويوحي إليه بأن يرخي عضلاته ويرسل نفسه على سجيتها ، ثم يبوح دون تحوط أو تحفظ بكل ما يخطر بذهنه من أفكار ، وبكل ما يختلج في قلبه من عواطف . وبهذا يكتشف فرويد « العقد » التي تكونت من الرغبات المكبوتة في نفس المريض ، فيصارحه بهذه الرغبات ، ويحاول أن يقنعه بالتفكير فيها بعقله المنطقي الواعي وبالتنازل عنها إذا تعارضت مع حقائق الوسط الخارجي : يعني التسليم بالأمر الواقع . وهنا نقطة الاختلاف الجوهري بين فرويد وبين السيرياليين : فهؤلاء لا يريدون بحال من الأحوال سيطرة العقل الواعي على العقل الباطن ، بل هم يريدون مواجهة العقل الواعي بالعقل الباطن ، والمنطق بالخيال ، والواقع بالحلم ، والحقيقة بالخرافة ، والحكمة بالجنون ... محاولين أن يؤلفوا من هذه العناصر جميعاً أداة جديدة للتفكير والمعرفة والنظر إلى الأشياء

لهذا يتهم السيرياليون فرويد بأنه « قد اشترى جرأته في البحث العلمي على حساب التحفظ والتسليم بالأمر الواقع في الناحية الاجتماعية » .

[البقية في ذيل الصفحة التالية]